

# سُورَةُ الْأَحْقَافِ



النَّزُولُ: مَكْيَةٌ.

الْمَقَاصِدُ:

- ١ - تقرير العقيدة، وتفنيد شبه المشركين حول التوحيد والرسالة والبعث.
- ٢ - تعظيم القرآن الكريم وتقرير نزوله، وذِكر الشواهد على كونه من عند الله تعالى.
- ٣ - بيان إعراض الكفار عن القرآن، وعاقبة إعراضهم في الآخرة.
- ٤ - بيان دلائل النبوة وأعلامها وشواهدها.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمٌ ﴾ تَزَيِّلُ الْكِتَبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقَنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا  
بِالْحَقِّ وَأَجْلٍ مُسَمٍّ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ مَا تَدْعُونَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
أَرْوَفِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شُرُكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَثْنَوْنِي بِكِتَبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثْرَةً مِنْ  
عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمٍ  
الْقِيَمَةُ وَهُمْ عَنْ دُعَائِيهِمْ غَافِلُونَ ﴿٤﴾

### التفسير:

- ١ - تَقدَّمَ في مطلع سورة البقرة الكلام على الحروف المقطعة، وأنَّ من الحكمة في إيرادها بيان إعجاز القرآن.
- ٢ - هذا القرآن نزل بالتدُّرُّج من عند الله، العزيز في سلطانه وملكه، الحكيم في أفعاله وكلامه.
- ٣ - ما خَلَقَنَا السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ السَّبْعَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ  
الْمَخْلوقَاتِ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَإِلَى أَجْلِ زَمَانِهِ مَعْلُومٌ عَنْهُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ، وَالْكَفَّارُ  
عَمَّا أَنذَرَهُمُ القرآنُ مِنَ الْأَهْوَالِ مُعْرِضُونَ عَنْهُ، لَا يَأْبَهُونَ بِهِ، قَلْ لَهُمْ - أَيُّهَا  
الرَّسُولُ - مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ: أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِ الْهَتَّكِمْ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ التِّي  
تَعْبُدُونَهَا مِنْ غَيْرِ اللهِ، أَرَوْنِي أَيَّ شَيْءٍ خَلَقُوهُ مِنَ الْأَرْضِ؟ أَمْ لَهُمْ مَشَارِكَةُ  
اللهِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ؟! هَاتُوا لِي كِتَابًا مِنْ عَنْدَ اللهِ مِنْ قَبْلِ هَذَا  
الْقَرآنَ، أَوْ هَاتُوا بَقِيَّةً مِنْ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ السَّابِقِينَ التِّي يُعْتَدُّ بِهَا، إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ فِي دُعَائِكُمُ الْمَزْعُومَةِ.

**٥** لا أحد أشد ضلالاً من المشرك الذي يعبد آلهة من غير الله لا تقدر على استجابة دعائه، ما بقيت الحياة الدنيا، وهي عن دعاء من يعبدها عاجزة.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** في إيراد الاسمين الجليلين ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إشارة إلى أنَّ هذا الكتاب عزيز؛ لأنَّه من عند العزيز، وحكيم فيما اشتمل عليه من أحكام ومعانٍ؛ لأنه من عند الحكيم، فمن تمسَّك به نال العزة في الدارين، وهديَ إلى الحكمة.

**٢** عطف ﴿وَأَجِلِ مُسَمَّى﴾ على ﴿بِالْحَقِّ﴾ من عطف الخاص على العام؛ للاهتمام به، فالأجل المسمى يوم القيمة، وهو يوم الحق.

**٣** تقديم ﴿عَمَّا أَنْذِرُوا﴾ على متعلقه وهو ﴿مُعْرِضُونَ﴾ للاهتمام بما أنذروا به، وكذلك رعاية للفاصلة.

**٤** بيان لعظمة القرآن، وإرشاد للعباد إلى وجوب التمسك به، وتلاوته وتدبره والعمل به، والدعوة إليه، واقتباس أنواره، واستخراج كنوزه.

**٥** لم يُخلق هذا الكون عبثاً، وإنما خلق لأسمى غاية.

**٦** مع هذه المسَّلامات الواضحة، فإن الكفار في إعراضٍ وغفلة عن الآيات والنذر.

**٧** قال ابن العربي في الآية (٤): «وَهِيَ أَشْرَفُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّهَا اسْتَوَفَتْ أَدِلَّةَ الشَّرْعِ عَقْلِيهَا وَسَمْعِيهَا». (أحكام القرآن: ٧ / ١٢٩).

**٨** قال ابن عاشور: «الأمر في ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ مستعمل في التسخير والتعجيز كنهاية عن النفي إنْ لم يخلقو من الأرض شيئاً، فلا تستطاعوا أن تُروني شيئاً خلقوه في الأرض، وهذا من رؤوس مسائل المناقضة، وهو مطالبة المدعى بالدليل على إثبات دعواه». (التحرير والتنوير: ٨ / ٢٦).

**٩** قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ﴾ إفحام وإثارة لهم بأنهم لا يأتون بحجَّة لا من جانب العقل، ولا من جانب النقل المسطور أو المأثور. وفيه إيجاز بالحذف، فقد حُذف جوابُ الشرط، لدلالة السياق عليه.

- ١٠ - براءة المشركين يوم القيمة مما كانوا عليه في الدنيا من شرٍ.
- ١٢ - أهمية علم الآثار في معرفة التاريخ والحضارات، وأسباب سقوطها.

﴿وَإِذَا حِشَرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا يَعْبَادُونَهُمْ كُفَّارِينَ ﴾٦﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْبَتِ قَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مِّنْ ﴾٧﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِمِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾٨﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَاءِ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُونُ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مِّنْ ﴾٩﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ بَيْنِ إِنْسَانٍ يَلْعَبُ عَلَى مِثْلِهِ فَثَامَنَ وَاسْتَكْبَرُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾١٠﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ أَمْنَوْلَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوْنَهُمْ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾١١﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كَتَبْ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرِيَّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾١٢﴿

### التفسير:

- ٦ - وإذا جمع العباد يوم القيمة كانت الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، إذ يتبرّؤون منهم، ويجدون علمهم لعبادتهم إياهم.
- ٧ - وإذا تُتلى على هؤلاء المشركين آيات القرآن مُوضّحات لطريق الهدایة، زعم الكفار حين جاءهم القرآن الحق أنه سحر واضح.

### ٨ - سبب النزول:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: «إنه من أهل الجنة، إلا عبد الله بن سلام». قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ بَيْنِ إِنْسَانٍ يَلْعَبُ عَلَى مِثْلِهِ فَثَامَنَ وَاسْتَكْبَرُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. (صحیح البخاری ١٦٠ / ٧ برقم ٣٨١٢ - کتاب مناقب الانصار،

باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وصحيح مسلم ١٩٣٠ / ٤ برقم ٢٤٨٣ - فضائل الصحابة، باب فضل عبد الله بن سلام).

### التفسير:

أيقولون: اخْتَلَقَ مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ، وَافْتَرَاهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ؟ قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ اخْتَلَقْتُهُ عَلَى اللَّهِ - عَلَى سَبِيلِ الافتراض - فَلَا تَسْتَطِعُونَ أَنْ تَرُدُّوْا عَنِّي شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ عَاجَلْنِي بِهِ، هُوَ سَبَّاحَنِي أَعْلَمُ بِمَا تَخْوِضُونَ فِيهِ مِنْ الْقَدْحِ فِي الْقُرْآنِ. كَفَى بِاللَّهِ شَاهِدًا يَشْهُدُ لِي بِالصَّدْقِ، وَيَشْهُدُ عَلَيْكُمْ بِالْجَحْودِ، وَهُوَ الْغَفُورُ لِلتَّائِبِينَ، الرَّحِيمُ بِهِمْ. قُلْ لَهُمْ: لَسْتُ بِأَوَّلِ رَسُولٍ، فَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ قَبْلِي جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولِينَ، وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِي وَبِكُمْ فِي الدُّنْيَا، مَا أَتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَسْتُ أَنَا إِلَّا نَذِيرًا بِالْمَعْجزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْحَجَجِ الظَّاهِرَةِ. قُلْ لَهُمْ: أَخْبَرُونِي إِنْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَجَحَدْتُمْ بِهِ، وَشَهَدَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - كَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامَ رضي الله عنه - عَلَى صَدْقِ الْقُرْآنِ، وَاسْتَكْبَرْتُمْ أَنْتُمْ عَنِ الإِيمَانِ بِهِ. إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

**١٢ - ١١** - **وقال الكفار للمؤمنين:** لو كان هذا القرآن خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء الضعفاء والفقراء، وإذ لم يهتدوا بالقرآن مع وضوح معالمه وإعجازه **فسيقولون:** هذا كذب منقول عن السابقين. ومن قبل القرآن التوراة التي أنزلها الله على موسى قدوةً يُؤْتَمُ بها في دين الله، ورحمةً لِمَنْ صَدَقَ بها وعمل بما فيها. وهذا القرآن مُصَدَّقٌ لما قبله من الكتب نزل بلسان عربي فصيح؛ ليُخوّف الكفار والفحار، ويُشرِّق المحسنين الأبرار.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ إضراب انتقالى إلى نوع آخر من ضلال أقوالهم، أي: إذا كان قولهم: إنَّه سحرٌ، عجيباً، فإنَّ دعواهم بأنَّه مفترى، أعجب.

**٢** - وجه الملازمة بين الشرط وجوابه في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ أَفْرَيْتُهُ، فَلَا تَمْكُونُ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أنَّ الله لا يُقْرُأُ أحداً على أن يفترى عليه، بل يفضحه ويعاقبه.

**٣** - قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرِيَ مَا يُعْلَمُ بِإِلَّا يَكُونُ﴾ رد على من يغالون في شأن

الأولياء، ويَدْعُون معرفتهم بالغيب، فإذا كان سيد البشر وخاتم النبيين لا يعرف الغيب، فكيف بغيره؟.

**٤ - اتفاق الشرائع السماوية في الأصول**، وفي كثير من الفروع، فكلها من عند الله تعالى جاءت بصلاح الدين والدنيا، وإن كانت رسالة الإسلام قد جاءت خاتِمةً متممةً لما قبلها.

**٥ - قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعاً مِّنَ الرُّسُل﴾ رد على شبّهات أعداء الإسلام الذين طعنوا في الشريعة العَرَاءَ، وسعوا جاهدين إلى تشويه محسنها، وطمس معالمها، فطعنوا على سبيل المثال في الحجاب، وطعنوا في تعدد الزوجات، وفي فريضة الجهاد، مع أن هذه الأحكام كانت في شرائع مَنْ قبلنا، ودلَّ على ذلك القرآن، ولا زالت كُتبُهم مع تزييفها وتحريفها تشهد بذلك.

**٦ - قوله تعالى:** ﴿إِنَّ أَنْبَاعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا بِإِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أسلوب القصر؛ لقصْرِ الاتّباع على الوحي، فالوحي طريق الاتّباع ومنهجه، كذلك قَصْرُ مهمته ﷺ في البلاغ المبين.

**٧ - المقابلة بين الإيمان والاستكبار؛ لبيان علة كفرهم وصدودهم عن الحق، وهو استكبارهم.**

**٨ - عَبَر عن التوراة بـ** ﴿كَتَبْ مُوسَى﴾ بطريق الإضافة دون الاسم العَلَمُ وهو التوراة؛ لما تؤذن به الإضافة إلى اسم موسى من التذكير بأنه كتاب أُنْزِلَ على بشر، كما أُنْزِلَ القرآن على محمد ﷺ.

**٩ - الإظهار في مقام الإضمamar في قوله:** ﴿لَيَنذِرَ اللَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشَّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولم يقلُ: لينذرهم للتعيم، وكذلك لبيان ظلمهم، وحاجة الظالم إلى مَنْ يُنذِرُه.

**١٠ - المقابلة بين** ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ و﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: فالظلمُ وَضْعُ الشيء في غير موضعه، وهو بَخْسٌ للحق، وتَعَدُّ على الآخرين، ومجاوزة للحد، أمّا الإحسان فإنه إتمام وتفضيل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ تُمَّمْ أَسْتَقْدِمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَجُونَ﴾ **١٣**  
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَلِيلِنِ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ **١٤** وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاكَ بِوَالِدِيهِ إِحْسَنًا حَمَلَتْهُ  
 أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصَلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ  
 رَبِّ أُورَعِنِي أَنَّ أَشْكَرَ نَعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرَضَهُ وَأَصْلَحَ  
 لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تَبَّتْ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ **١٥** أَوْلَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا  
 وَنَجَّاوْزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ **١٦**

### التفسير:

**١٣ - ١٤ -** إنَّ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ خَلاصَةُ الْعِلْمِ، وَالْاسْتِقَامَةِ فِي أَمْوَالِ الدِّينِ الَّتِي هِي مُتَهِىِّنُ الْعَمَلِ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا هُمْ يَحْرَجُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ أَمْوَالِ الدِّينِ. أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الْعَالِيَّةِ هُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَا كَثِيرٌ فِيهَا أَبَدًا، نَالُوا ذَلِكَ النَّعِيمَ جَزَاءً لِهِمْ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ فِي الدِّينِ.

**١٥ -** وَأَمَرْنَا إِلَيْنَا إِنَّ الْإِنْسَانَ أَمْرًا جَازِمًا بِالْإِحْسَانِ بِالْوَالِدِينِ بِالْقَوْلِ وَالْفَعْلِ، إِذْ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ جَنِينًا فِي بَطْنِهَا بِمَشْقَةٍ، وَوَلَدَتْهُ بِمَشْقَةٍ أَيْضًا، وَمُدَّةَ حَمْلِهِ وَفَطَامِهِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا قُمْرِيًّا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ نَهَايَةَ قُوَّاهُ الْجَسَدِيَّةِ وَالْعُقْلِيَّةِ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ: يَا رَبِّ الْهَمْنِيَّ أَنَّ أَشْكَرَ نَعْمَتَكَ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، وَوَفَّقْنِي أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً صَالِحًا تَتَقَبَّلُهُ مِنِّي، وَاجْعَلْ الصَّالِحَ سَارِيًّا فِي ذُرِّيَّتِي مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَحْفَادِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ. إِنِّي تَبَّتْ إِلَيْكَ مِنْ جَمِيعِ ذَنُوبِيِّي، وَإِنِّي مِنَ الْمُطَبِّعِينَ لَكَ، الْخَاضِعِينَ لِحُكْمِكَ.

**١٦ -** أَوْلَئِكَ الشَاكِرُونَ التَّائِبُونَ، أَصْحَابُ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، الَّذِينَ نَقَبَّلُ مِنْهُمْ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحةَ، وَنَصْفُحُ عَنْ ذَنُوبِهِمْ فِي جَمْلَةِ عَدَادِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. هَذَا الْوَعْدُ الصَّادِقُ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ بِهِ عَنْ طَرِيقِ رَسُولِنَا.

### الفوائد والاستنباطات:

**١ -** تقديم نفي الخوف على نفي الحزن؛ لأنَّ دفع المخاوف مقدم على إذهب الأحزان وجلب المسرات، وفي هذا بيان لعظيم نعمة الأمان.

- ٢ - قوله تعالى: ﴿وَاصْلِحْ لِي فِي دُرْبِيٍّ﴾ وإنما تعدى بـ ﴿فِي﴾ لتضممه معنى الطف بي في دربي، أو لأنه جعل الذريعة طرفاً للصلاح.
- ٣ - التوحيد والاستقامة طريق السعادة في الدارين.
- ٤ - الوصية بالوالدين والبر بهما والإحسان إليهما.
- ٥ - أقل مدة الحمل ستة أشهر أخذها من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ شَلَثُونَ شَهْرًا﴾ وقوله تعالى في الرضاع: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾.
- ٦ - شُكْرٌ نَعْمِ الله تعالى، والاستعانة بالله تعالى على ذلك.
- ٧ - من دواعي الإجابة والقبول: التوبة إلى الله تعالى، ولزوم طريق الإسلام.
- ٨ - بلوغ الأربعين حَدًّا فاصلٌ بين مرحلتين، وبلوغها يستدعي وفتين: وقفه مع الماضي الذي مرّ، والتوبة مما سلف من تفريط وإفراط، ووقفة لما يستقبله العبد من الزمان الحاضر والآتي.
- ٩ - في الآيتين (١٥ - ١٦) إخبار مستقبلي عن جزاء من استجاب لوصيَّة الله بالوالدين، فأحسن في صحبته لهما بِرًا بهما في حياتهما وبعد مماتهما ، فجزاؤه: أن يتقبَّلَ الله منه أحسن ما عمل من صالحات الأعمال، ويصفح عن سيئاته .

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفِّ لَكُمَا أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكُمْ وَهُمَا يَسْتَغْيِثُانِ  
اللَّهُ وَيَلَكَ إِيمَانُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ  
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتِ مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَنِيرِينَ ﴿١٧﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ  
مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوْفِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبُتْمُ طَيْبَتِكُمْ  
فِي حَيَاكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُنُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْكِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسِدُونَ ﴿١٩﴾﴾

## التفسير:

- ١٧ - ١٨ - وثمة جاحدون لنعَم الله، وذلك من قبيل الذي تَضَجَّرَ من والديه حين دعوه إلى الإيمان بالله، وأنكر عليهما قائلاً: أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ من

قبري حيًّا، وقد مَضَتِ القرون من قبلي، ولم يُبعث منهم أحد؟ وهما يستغيثان الله تعالى هداية الولد، ويقولان مخوَفِين له: ويَلَكَ آمِنْ بِاللهِ، إِنَّ وَعْدَ اللهِ بالبعث حقٌّ لا شكَّ فيه. فيرددُ عليهم بغرور: ما هذا القول إلا ما سَطَرَهُ الْأَوَّلُونَ من الكذب. أولئك البعداء عن الحقِّ الذين وجَبَ عليهم العذاب في جملة الأمم السابقة من كَفَرَةِ الجنِّ والإنس. إنَّهم كانوا خاسرين أنفسهم في الآخرة.

**٢٠ -** ولكلٌّ فريق من المؤمنين والكافار منازل عند الله يوم القيمة بما قَدَّموا من عمل في الدنيا، وليَوْفَيْنَهُم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يُظلمون مثقال ذرَّةٍ بنقص ثواب أو زيادة عقاب. ويوم القيمة يُعرَضُ الكافار على النار، ويُقال لهم ذمًّا وتوبِيحاً: أَذْهَبْتُمْ طيباتكم بما أصبتُم في الحياة الدنيا، فاغتررتُم بذَّاتِها، ورضيتم بشهواتها، فالليوم تُجزون عذاب الذلّ بسبب استكباركم على الناس بغير الحقِّ، وبسبب ارتكابكم الجرائم.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - الترهيب من عقوق الوالدين ومعصيتهم إذا أمرا بطاعة، وبيان شدة حِرْصِهما وشفقتهما على ولدهما العاقِّ.

**٢** - قوله تعالى: ﴿تُجَزَّوْنَ عَذَابَ الْهُؤُنِ﴾ أي: الهوان الشديد، وإضافته إلى الهُؤُن لعراقته، وتمكُنه فيه.

**٣** - حِرْصُ الأُبُّين الصالحين على هداية ولَدِهما، واستقامته على الحق وهو من الواجب عليهما تجاهه.

**٤** - جزاء كل كافر بقدْرِ عمله، وإن اشتركوا في سوء العاقبة، فالنار دَرَّكات، كما أنَّ الجنة درجات.

**٥** - قد يُبْتَلِي الوالد الصالح بالابن الطالح، وهذا امتحانٌ من الله للعبد.

**٦** - طَلَبُ الهدایة من الله تعالى، كما يوحى بذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمَا يَسْتَغْيِثَانِ اللَّهَ﴾، فِيُسْتَحْبِطُ الدعاء للولد بالهدایة.

**٧** - الدعوة للزهد والتقويف، وقد كان رسول الله ﷺ زاهداً في حطام الدنيا الزائل، متواضعًا في ملبيه وأكله، ومسكته.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ أَهْلَتَنَا فَإِنَّا يِمَّا تَعْدَنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَعْلَمُ عَنَّ اللَّهِ وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، وَلَكُنْيَ أَرْنَكُمْ قَوْمًا بِجَهَلِهِنَّ ﴾٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْ دِيَرِهِمَ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرٌ بَلْ هُوَ مَا أَسْتَعْجَلُمُ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبِحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكُونُهُمْ كَذَلِكَ بَنَجِزِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَثُوكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَثَتُكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَعْيًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعَدَهُ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَعْيُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَوْعَدُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِإِيمَنِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ ﴾٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا مَا حَوَلَكُمْ مِنَ الْفُرْقَانِ وَصَرَفَنَا إِلَيْنَا لَعَنْهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ أَتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا إِلَهٌ أَبْلَى ضَلَّوْ عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُوكُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾٢٨﴾

### التفسير:

**٢١** - واذكر - أيها الرسول - لقومك نبي الله هوداً، أخا عاد في النسب، حين أنذر قومه بمدينة الأحقاف في حضرموت - وقد مضت الرسل التي أنذرت أممها قبل هود - وحذرهم بآلا يعبدوا إلا الله وحده، إنني أخاف عليكم إن عبدتم غير الله عذاب يوم عصيб.

**٢٢** - فردواعليهم منكريين بسفاهةٍ وغُرور: يا هود أجيئنا بدعوك لتصرِفنا عن عبادة آهتنا؟ فأتينا بما تَعْدَنَا به من العذاب، إن كنت من الصادقين في إنذارك.

**٢٣** - وقال لهم هود ﷺ محدراً لهم من جهلهم: إنما العلم بنزول العذاب عليكم عند الله وحده، وأبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكنني أراكם قوماً تجهلون قدرة الله في نزول العقاب.

**٢٤** - فلما رأوا الريح التي تزجر سحاب العذاب مُتجهة إلى أودييتم قالوا: هذا سحاب عارض يأتينا بالمطر. فقال لهم هود ﷺ: بل هو العذاب الذي استعجلتم به، إنها ريح تحمل عذاباً موجعاً، تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ تُمْرِ به بأمر ربها سبحانه - ويصبح أن يكون القول لله تعالى وليس لهود - فأصبحوا

هلكى لا يُرى من آثارهم شيء سوى ديارهم الخاوية. وكما جزيناهم نجزي القوم الكافرين.

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرئ منه لَهَوَاتِه إنما كان يبتسم. قالت: وكان إذا رأى غيماً أو ريحًا عُرف في وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحاً؛ رجاءً أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرفَ في وجهك الكراهة؟ فقال: «يا عائشة ما يُؤْمِنُي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذْبَ قَوْمٍ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمَ الْعَذَابِ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنٌ». (صحيح البخاري ٤٤١ / ٨ برقم ٤٨٢٩ - كتاب التفسير - سورة الأحقاف، باب الآية). واللهم: اللحمة في سقف أقصى الفم. (النهاية ٤ / ٢٨٤).

**٢٦** - وقُسْمًا لَقَدْ مَكَنَّا لِقَوْمٍ عَادَ مِنْ أَسْبَابِ التَّمْكِينِ وَالْقُوَّةِ مَا لَمْ نُمَكِّنْكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ نِعْمَةَ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئَدَةِ لِلْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ، وَاسْتَعْمَالُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُعَادَةِ الدَّارِينَ، فَاسْتَعْمَلُوهَا فِيمَا يُسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ شَيْئًا، إِذْ كَانُوا يَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْمَسْمُوعَةِ وَالْمَشَاهِدَةِ، وَوَقَعُ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا بِهِ يَسْخَرُونَ، وَقُسْمًا لَقَدْ دَمَرَنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقَرَى - يَا أَهْلَ مَكَّةَ - كَعَادَ وَثَمُودَ وَلَوْطَ وَنَحْوَهُمْ، وَبَيْنَاهُمْ أَنْوَاعُ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ؛ لَكِي يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ.

**٢٧** - فَهَلَّا نَصَرْتُهُمْ أَهْتَمُمُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا لِلْعِبَادَةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ. لَمْ تَنْصُرْهُمْ، بَلْ غَابَتْ تِلْكَ الْآلَهَةُ عَنْ نَصْرَتِهِمْ. وَذَلِكُ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ هُوَ كَذِبُهُمْ وَافْتَرَاؤُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - ينظر: خريطة موقع الأحقاف، كما في الملحق.
- ٢ - لما أقام الله تعالى عليهم **الحجج** الباهرات والدلائل النيرات، وأزال ما أثاروه من أباطيل وشبهات، وأخذهم بالترغيب والترهيب، أقام عليهم **الحججة** بهذه القصة التي سار بها الركبان، ولا زالت آثارها باقية، ومسرح أحاديثها قائماً.

- ٣ - مَكَنَ اللَّهُ تَعَالَى لِأُمُّمٍ غَابِرَةٍ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَنَا، مع ما في هذا العصر مِنْ تَقدِّمٍ وَازْدَهَارٍ حَضَارِيٍّ، وَلَكِنَ التَّمْكِينُ نَسْبِيٌّ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ التَّقدِّمِ

العلمي، وهذا التحول التقني، وهذه المختبرات والتطورات التي لم تخطر على بال من قبلنا، إلا أن الحضارات البائدة تميزت بمنجزات لم تتهيأ للحضارة المعاصرة، وعلماء الآثار والتاريخ يعلمون ذلك.

**٤** - التعبير بقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ﴾ للدلالة على أن افتراءهم راسخ فيهم. ومجيء ﴿يَفْرُونَ﴾ بصيغة المضارع للدلالة على أن افتراءهم متكرر.

**٥** - تشابه مواقف الكفار من أنبيائهم على مر التاريخ، وتشابه عاقبتهم.

**٦** - قد تقتضي الضرورة مصارحة الجاهل بجهله ليكون على حذر، ويُبدّد ظلام الجهل بنور العلم والحكمة.

**٧** - السمع والبصر والرؤا من نعم الله تعالى التي ينبغي أداء شكرها، وحسن الانتفاع بها، وإنما تصير نعمةً ووابلاً على صاحبها، حين يُسيء استغلالها.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِثُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْدِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَقْوِمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقْوِمُنَا أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَإِمْتُوْبِهِ يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُحِرِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبَ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعِي بِخَلْقِهِنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْكِمَ الْمَوْتَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعَرَّضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَئِكُمُ الْعَزَمُ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا سَتَعْجِلْ لَهُمْ كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَغَ فَهُمْ يُهَكُ إِلَّا الْقَومُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

### التفسير:

**٢٩** - وإذا كان كفار قريش قد كذبوا النبي الأمين ﷺ، فإن الله تعالى قد أيدَه بمعجزة عظيمة حين آمنت الجن. من أجل ذلك أثنى الله تعالى على الجن

المؤمنين، وسماعهم القرآن من النبي ﷺ - كما في الآيات الأربع التالية - حين بعث الله تعالى طائفة من الجن يستمعون القرآن من النبي ﷺ، فلما حضروا التلاوة قال بعضهم لبعض: أَنْصِتُوا؛ لنسمع القرآن، فلما فرغ من التلاوة رجعوا إلى قومهم يُخوّفونهم العذاب إن لم يؤمنوا بالله تعالى. عن علقمة قال: قلتُ لابن مسعود رضي الله عنه: هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة، فقلنا: اغتيل أو استطير، ما فعل به؟ ففيها بشّر ليلة بات بها قوم، حتى إذا أصبحنا أو كان في وجه الصبح، إذا نحن به يجيء من قبل حراء، قال: فذكروا له الذي كانوا فيه، فقال: «أتاني داعي الجن، فأتيتهم فقرأت عليهم» فانطلق، فأرانا آثرهم، وأثر نيرانهم».

(أخرجه الترمذى وقال: «هذا حديث حسن صحيح». (الستن ٥ / ٣٨٢ - ٣٨٣ برقم ٣٢٥٨ - كتاب التفسير)، وصححه الألبانى في (صحیح سنن الترمذى) وأخرجه مسلم من طريق علي بن حجر به نحوه، وأخرجه مسلم (الصحيح ٢ / ٢٤ - كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن).

**٣٠ - ٣٢** - ودعوا قومهم بنداء النسب لاستمالتهم، يبشرُونَهُمْ أَنَّهُم سمعوا قرآنًا عجيبةً أنزل من بعد موسى عليه السلام، مصدقاً لما تقدمه من الكتب المنزلة، يهدي إلى الدين الحق والطريق الصحيح. يا قومنا أجيروا محمداً رسول الله عليه السلام الذي يدعو إلى الإيمان بالله، وصدقوا برسالته، يغفر الله من ذنبكم، ويخلصكم من عذاب موجع. ومن لا يحب رسول الله إلى دين الإسلام فلن يفلت من الله طلباً، ولا يعجزه هرباً، وليس له أنصار يمنعونه من عذاب الله. أولئك البداء عن الحق في ضلال عن الحق ظاهر.

**٣٣** - يذكر الله على منكري البعث: أولم يعلم هؤلاء الكفار أن الله العظيم الذي أبدع خلق السموات السبع والأرضين السبع؛ ولم يعجز عن اختراعهن قادر على إخراجهم من قبورهم أحياء؟ بلـ، إنه سبحانه على كل شيء قادر، لا يعجزه شيء.

**٣٤** - ويوم القيمة يعرض الكفار على النار، ويقال لهم توبيخاً وتقريراً:

أليس هذا العذاب هو الحق الذي كنتم تُنكرون؟ فأجابوا: بل وربّنا هو الحق. فَيُرِدُّ عَلَيْهِمْ: فَذُوقُوا العذاب بسبب كفركم.

**٣٥** - فاصبر - أيها الرسول - على أذى قومك، كما صبر أولو العزم والثبات من الرسل - وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - ولا تعجل العذاب للكفار بالدعاء عليهم، فإنه مصيبة لهم، ويوم يرونها كأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار. هذا الوعظ بлаг عظيم لهم ولمن بعدهم، ولا يُدَمِّرُ الله تعالى إلا القوم المخالفين أمره سبحانه.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - بlague لغة الجن في وصف القرآن الكريم، ومقارنته بالكتب السابقة، وبيان موقفه منها، وبيان مقاصده، وتقرير الرسالة النبوية.

**٢** - من المعلوم أنَّ الإنجيل بعد التوراة، وإنما قالوا بعد موسى ﷺ؛ لأنَّ الإنجيل جاء مُكَمِّلاً للتوراة، ناسخاً بعض حكماتها.

**٣** - تكرير النداء: ﴿يَقُولُونَ﴾ لإظهار العناية والتلطف بهم، ولفت أنظارهم.

**٤** - ﴿مَنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: ﴿مِن﴾ بيانه أي جميع الذنوب؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، أو للتبييض لاستثناء الذنوب المتعلقة بحقوق العباد، فإنها لا تغفر إلا بأداء الحقوق أو تقديم العوض، أو العقوبة، أو المسامحة.

**٥** - تقييد الإعجاز بكونه في الأرض؛ لبيان أنه لا مَغْرِبَ ولا مَهْرَبَ للكفار الجن، لا على ظهر الأرض ولا في بطنها.

**٦** - تقرير الإيمان بالجن، وأن فيهم المؤمن، وفيهم الكافر.

**٧** - فضل الاستماع للقرآن؛ فهو طريق التدبُّر والانتفاع بهدايته.

**٨** - التواصي بالتأدب والخشوع عند الاستماع للقرآن.

**٩** - ﴿وَيَوْمَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إظهار في مقام الإضمamar؛ لبيان علة مصيرهم وسبب شقاءهم، وهو الكفر.

**١٠** - قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الفاء واقعة في جواب شرط محدود، أي: إذا كان الأمر كما مرّ من أول السورة؛ فاصبر

كما صبر من قبلك أولو العزم من الرسل؛ فإن كل ما ورد في السورة مما يثبت الفؤاد، ويُسلّي النفوس.

**١١** - فضل الهمة العالية والعزم القوية في العمل الصالح، والدعوة إلى الله.

**١٢** - التحذير من الفسق وسوء عاقبته، فهو من أسباب الهلاك.

**١٣** - عرض الكفار على النار قبل إلقاءهم فيها؛ تنكيلاً وترويعاً لهم.

